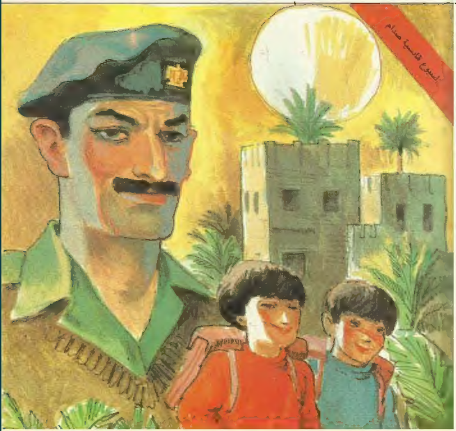
حكايات من
قادسية صدام

مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل   ١٣   قادسية صدام



القصص الفائزة بمسابقة قادسية صدام
التي أقامتها «دار ثقافة الاطفال»

الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال



الناشر : دار ثقافة الاطفال ـ ص. ب. ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة داخل العراق ١٥٠ فلساً عراقياً
وخارج العراق ٣٥٠ فلساً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
(٤٣٧) لعام ١٩٨٤

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

ادب الحرب المصور للاطفال

حكايات من الحرب العراقية الايرانية
(١٩٨٠ - ١٩٨٨) م

حكايات من
قادسية صدام

القصص الفائزة بمسابقة قادسية صدام
التي أقامتها «دار ثقافة الأطفال»

تأليف
ميسلون هادي
مجيد حنون
رياض السالم
محمد عبدالمجيد

رسوم : طالب مكي

مسح ضوئي : د.نزار حبيب عباس
اعداد الكتروني : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

تنويه /

تم اعداد هذا الكتاب عن نسخة ارشيفية شخصية للاخ والاستاذ العزيز (د.نزار حبيب عباس) ... تفضل مشكورا بارسالها الينا لنشرها وعشرات الاصدارات النادرة لدار ثقافة الاطفال العراقية .. لغرض التوثيق والنشر الالكتروني في الانترنيت ... ((الفيسبوك وموقع عرب كوميكس الالكتروني)) فكل الشكر والتقدير له ولامثاله الرائعين ولكل من دعمنا وشجعنا لاكمال وارشفة المطبوعات والكتب النادرة .... متمنيا له الموفقية وديمومة العطاء والنجاح .... مع خالص التقدير ..

احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م

الإمتحان

• ميسلون هادي •

القصة الفائزة بالجائزة الأولى

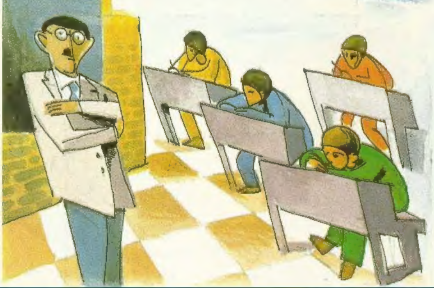


كان يوماً ربيعياً جميلاً ، وكان الصباحُ يحملُ إلينا عبرَ هوائِهِ الطيّبِ عبقَ قدّاح البساتين التي تحيطُ بمندلي وتنتشرُ في ضواحيها . وكنتُ أنا وصديقي أحمدُ، نسيرُ متجهَين إلى المركز الإمتحاني لاداء امتحان اليوم الأخير . نشعرُ بسعادةٍ غامرةٍ لأقتراب آنتهاءِ الامتحانات،وآنتظار النتائجِ بعدَ ذلك . أنا وأحمدُ راجعنا المادةَ معاً ثلاثَ مراتٍ،وأنا وأحمدُ من المتفوقين في الدروس طولَ السنة . كانَ يسبقُني أحياناً بدرجةٍ واحدة

أو أسبقه بدرجتين ، ولكنّنا كنا نحن الأثنين من الأوائل في معدّلات السعي السنوي ، وقد أتفقنا على أن تبقى كذلك في الإمتحان الوزاري .

* * *

اتخذنا مقاعِدَنا المعتادةَ في قاعة الإمتحان ، وأستلمنا أوراقَ أسئلةِ الإجتماعيات،ولمّا قرأتُها نظرتُ الى أحمدَ فقرأتُ في عينيه الفرحةَ وأستعدادَهُ هو الآخر للإجابة الصحيحة . ولم يمرّ وقتٌ طويلٌ،حتى أخذَ الطلاب يسلّمونَ دفاترهم الى المعلم المراقب الاستاذ عاصم ،ويخرجونَ فتعلوا ضحكاتهم خارجَ القاعة فرحين بأنتهاء الامتحانات . وكنا أنا وأحمد،على وشكِ تسليم





دفاترِنا أيضاً عندما دوّى أنفجارٌ هائلٌ،أهتزّتْ له أركانُ القاعة وشبابيكُها . وسرعان ما أخذتْ قِطعٌ من الحجارة تتساقطُ علينا من السّقف . وسمعتُ الأستاذ عاصم يقولُ لنا:" انبطحوا تحت الرحلات" ،فأنبطحنا . وتلا ذلك صوتُ تكسّر زجاجِ الشبابيك،وسقوطِ لوحٍ كبير من الزجاج في القاعة ، والاستاذ عاصم وهو يصيح :

ـ أحمد ، لقد جُرحت .

قفزتُ من مكاني كالمجنون ، وهرعت إلى أحمد ، فرأيتهُ ممدداً تحتَ اللوحِ الزجاجي، فاقد الوعي ، والدمُ ينزفُ من وجههِ .. صاحَ بي الأستاذ عاصم :

عُدْ إلى مكانِكَ فالقصفُ لم ينتهِ بعد . سأتولى أنا الأمر .

ولكنّني لم ألتفت إليه،وكان همّي كله إنقاذ صديقي الجريح . رفعنا عنه لوحَ الزجاج وانحنى الاستاذ عاصم،وحملَ أحمد على كتفهِ وركضَ به إلى سيارته ، وبعد قليل كنّا نحن الثلاثة في المستشفى ..

في اليوم التالي ذهبتُ إلى أحمد في المستشفى لأطمئن عليه،فوجدته في سريرهِ ورأسُهُ ملفوفٌ بالضمادات . أخبرتني أمه أنه بخير،وقد خيطت جروحه،وسيتماثل قريباً للشفاء . بَعدي بقليلٍ جاء الأستاذ عاصمُ ليطمئنَ على أحمد هو الآخر، فسألتهُ عن باقي زملائنا فقالَ إنهم جميعاً بخير، وإنّ القصف المدفعي الايراني لم يحقق ، عدا



إصابةِ أحمد ، سوى أضرارٍ ماديةٍ في بناية المدرسة ، وأنّ طائراتنا الشجاعة قد أغارت في الليل على مواقعِ تجمعات الأعداء،ولقّنتهُم درساً لن ينسوه .

كان أحمد يستمع الى ما يقوله الأستاذ عاصم بأنتباهٍ،وفي عينيه يلتمع سؤال صامت . قلتُ له :

ـ هل أنتَ على ما يرام يا أحمد ؟

قال أحمد بصوتٍ ضعيف : نعم ولكني أردتُ أن أسأل الأستاذ عاصم،هل تضررت دفاترُ الإمتحان ؟

ضحكَ الأستاذ عاصم بحنان،ثم ربت على يد أحمد وقال :

ـ اطمئن يا أحمد ، الدفاتر سالمة .

ورأيت أحمد يتململ في فراشهِ بأرتياح . وقد زالتِ الحَيرة من عينيه ، واستقرَّ مكانها شوق وتطلع لنتائج الإمتحان .



البطل الصغير وطائرة الفانتوم



دوّت صافرة الانذار . أنتشر صوتُها المرعب في أرجاء المدينة .. فرّت الطيورُ . حلّقت مذعورة . ثم بلحظاتٍ تركتْ سماءَها،ولم يعرف أحدٌ أين أختفت ..

في البيوت تململ الناس . سرتْ في أجسادِهِم رعشةُ القلقِ الممزوجِ بالغضب المر ..

في الشارع،خفّتْ حركةُ السيارات التي غادرها سائقوها وركابُها،الذين تجمهروا على الأرصفة ، أو لاذوا بالبنايات الكبيرة المطلّة على الشارع ، أو بأعمدتها الكونكريتية ..

أما الرجال المكلّفون بحماية المدينة ، فقد تهيأوا للطائرة المعادية،وهم في مواضعهم على سطوح البنايات العالية ..

وأما الاطفال ـ معظمهم ـ فارتقوا السلالم نحو السطوح ، رغم تحذيرات أهليهم .



انحنى فؤاد وألتقطَ حصاةً وصعد بها إلى السطح . وكان سطحا واسعاً وعالياً ..

وقفَ في منتصفه،وأخذَ ينظر في شتى الاتجاهات علّه يشاهد الطائرة المغيرة ..

كان الأطفال والصبية ـ وحتى بعض الكبار ـ يقفون على سطوح منازلهم،يحلّقون بأبصارهم هنا وهناك . ويستمدون عن بعضهم البعض ، مشاركة وجدانية تمنحهم القدرةَ على العنادِ ومقاومة نداءات أهليهم . التي تطالبهم بالنزول ..

في جسدِ فؤاد رعشةٌ قوية . وفي قلبِهِ لهفةٌ غامرة لأن يُصيبَ الطائرةَ المعادية بهذهِ الحصاة التي بين يديه ..

كانَ جسدُهُ وقلبُهُ يمتلئان بحركةٍ داخليةٍ لا تهدأ ، أما عيناه الصغيرتان فكانتا لا تستقران مثل خطواته التي راحت تقطع السطح . مرةً بهذا الاتجاه ومرةً بذاك



ضاقتْ يدُهُ بالحصاة ، غمرتها بعرقها الحار .. صارت الحصاةُ نديّةً ملساء ، فأفردَ أصابعَهُ عنها ومسحَها بثوبه فعادتْ جافّةً قليلاً ، صلبةً، يستطيعُ أن يقبضَ عليها جيّداً ويطلقها نحو الطائرة ، فيصيبها في مقتلٍ منها ...

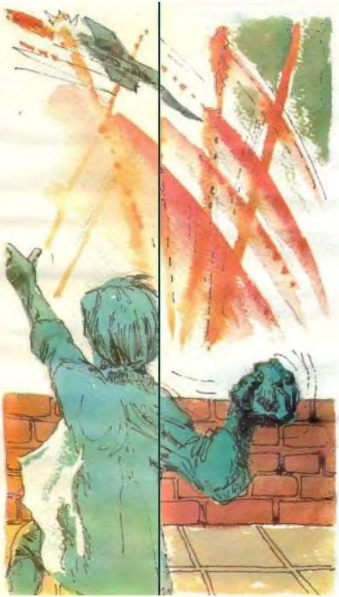
كلُّ طفلٍ على السطح ، كانَ يمسكُ بيدهِ حصاةً ، أو حجارةً صلبة ، إلا أنّ حصاة فؤاد إنما هي حصاةٌ مُسَطّحةٌ ومُدَوّرةٌ جيّداً، تنطلقُ بعيداً حين يضمُّ عليها أصابعَهُ القوية ، ويقذف بها إلى عنان السماء ..

متى تأتي الطائرةُ اذن ؟ إنه ينتظرها بفارغ الصبر ، وستكون حصاتُهُ أولى الحصى وأبعدَها عمقاً إليها ..

لم تزلِ السماءُ صافيةً غير مشوبة بالطائرة المعادية ، إنما هي سماءٌ نظيفةٌ مثلَ ثوبٍ أزرق، غُسِلَ وظلَّ ساعاتٍ يصافحُ الشمسَ والهواءَ، ولم يزل الناسُ ينتظرونَ شيئاً : أن تظهرَ الطائرةُ فتسقط ، أو تولي الأدبار هرباً ..

السيارات التي هبطَ منها ركّابُها وسائقوها تملأُ الشارع .. بعضُ أفرادِ الدفاع المدني يجوبونَ بين السيارات ، أو على الأرصفة .

كانوا فتياناً وفتيات ، بيزاتهم الخاكية الجميلة ، وفي ربيع عمرهم .. لِلَحظات كانَ فؤاد ينظرُ إليهم ، ويهفو نحوهم ، وكادَ ينسى الطائرة لولا أنْ صوتاً تلتْهُ أصواتٌ قويةٌ أخرى، رفعته من الأرض



وأعادتْهُ الى السماء .. كانتِ المدافعُ الرشاشة المضادة للطائرات تطلقُ قذائفَها المتلاحِقَةَ نحوَ الطائرة، التي لم يكن فؤاد قد رآها بعد .. لقد امتلأتِ السماء بالنار وهو لم يَرَها بعد .. راحَ يدورُ ويدور ، وفي أُذنيه يتلاطمُ دويُّ الرصاص ولغطُ الأطفال وهوسهم وصياح بعض الكبار : «تلك هي .. الطائرة المعادية تلك هي» .

تابعَ فؤاد سبّابَةَ أحدِهِم وهي تؤشّر ، فمدَّ بصَرَهُ ناحيةَ الشرق .. كانت الطائرةُ قادمةً وهاربةً معاً .. كانت حائرة .. لقد دخلتْ دائرة النار .

تحسّسَ الحصاةَ في يده .. قبضَ عليها جيّداً حتى كادت أصابِعُهُ تتمزّقُ عليها .. هي ذي الطائرة قادمة .. إنّهُ يميّزُها جيّداً طائرة الفانتوم .. تهيّأ جيداً .. أفرجَ ما بين ساقيه ، لَمْ ساعِدَهُ الى عضده ، شَدّهُما الى بعضهما جيداً ، وفتلَ جسده ، ثم بسرعةٍ باعدَ ما بينهما ، وبعنفوٍ وغضبٍ أطلقَها ..

لم تكن حصاةً ، إنما كانت قذيفة ، لم يُلاحقِ الطائرةَ بعد .. لقد أعطى ما عندَهُ ، كلُّ ما عنده ، وما كادَ ينفضُ عن يدهِ بعضَ غبارِ الحصاة حتى نزَّ على هياجٍ عارم يقول بصوت مجموعة كبيرة : «لقد أُصيبت ـ الطائرة المعادية أُصيبت .. أنظروا إنّها تنفجر في السماء» .

القمة السوداء





نهضتِ الأم مبكرةً في الصباح ودخلتِ المطبخَ ثم وضعتْ إبريقَ الشاي على النار،وأخذت تروح وتجيء بين المطبخ وغرفة النوم .. كان جميعُ مَنْ في البيت نياماً .. نادتِ الأم بصوتٍ خفيض على ابنها : "خليل .. خليل . استيقظ." تململَ خليل في فراشِـهِ الدافِيء وقالَ دون أن يفتح عينيه : دعيني أنام قليلاً . فاليوم جمعة ولا دوام في المدارس .

قالتِ الأم وهي ترفع الغطاءَ السميكَ عنه : إنهضْ وأجلبْ لنا خمسةَ أرغفةٍ .. أبوك سيذهب اليوم .

ـ "سيذهب ؟" قال خليل ذلك وآستوى جالساً في فراشه ثم أضاف : إلى أين ؟

قالتِ الأم : "إلى الجبهة،فهذا هو اليوم الأخير من إجازته .. ولا بد أن يصلَ إلى وحدته قبلَ مغيب الشمس،ولا يصحُ أن يذهبَ دونَ أن يتناولَ إفطارَهُ ووراءهُ سفرٌ طويل". ثم تركتْهُ وراحتْ لِتُعِدَّ حقيبةَ الأب .



مدّ بصراً واثِقاً نحو السماء .. كانتْ هنالِكَ كتلةٌ من نار ودخان .. كانتْ هنالِكَ طائرةٌ تتحول إلى غيمةٍ رماديةٍ صغيرةٍ،لا تلبثُ أن تذوي وتذوبَ في سماءٍ عريضةٍ ونظيفة ..

بَسَطَ كفَّهُ ونفضَ عنها باليدِ الأخرى غباراً ليس فيها ! وبخطواتٍ واثقةٍ هبطَ الدرج ..

عندَ المساء وهو يقصُ على أبيه ، ويُعيد على أمه وأختيه الصغيرتين كيف أنه رمى بحصاتِهِ الطائرةَ المعادية ، أعلنَ ناطقٌ عسكري بأنّ أبطالَنا الشجعان ، أصابوا طائرةً معادية من نوع فانتوم ، شوهِدَتْ وهي تحترقُ في الجو ..

بعد فترةٍ عادَ خليل إلى البيت يحملُ خمسةَ أرغفةٍ.. كان ابوه وأمه وأختاه جالسين على مائدة الإفطار. وكان الأب كعادته يتحدثُ إليهم عن بطولاتِ رفاقِهِ في جبهات القتال.

ألقى خليل تحيةَ الصباح وجلس.. كان الأب يروي كيف أنّ المقاتل "شاتي" أسَرَ آثنين من الإيرانيين،ورفيقه سعد الذي يشاركه نفس الموضع، دمّرَ ثلاث دباباتٍ إيرانية بقاذفته.

سألتِ البنت الصغيرة: دمّرَها بضربةٍ واحدة؟

أجابَ الأبُ مبتسماً: كلاّ بالطبع. حطّمَها واحدةً بعد الأخرى. عندما هجم الأعداء علينا كان سعد مستعداً. أطلقَ صاروخاً فدمّرَ الدبابة الأولى.. ثم غيّرَ مكانه وضربَ الدبابةَ الثانية فأحرقها.. وغيّر مكانَهُ مَرّةً ثالثةً وضربَ الأخيرة..

سألَ خليل: وأنت يا أبي هل حطّمْتَ دبابة؟



سكتَ الأبُ قليلاً. ثم قال: "أنا أشاركُهُم".. ثم شابَ نبراتِ صوتِهِ حزنٌ عميق. نعم أشاركهم. إنهم لا يستغنون عن العريف ابراهيم. لا يستغنون عني.. ثم نفضَ يديه من الطعام ونهضَ إلى غرفته. لقد كانَ الأبِ متألماً وحزيناً، فهو يدركُ أنه لم يصنع في الجبهة عملاً متميزاً.

توقّفَ الجميعُ عن تناولِ طعامِ الإفطار، وسادَ بينَهُم الصمت، ولم يجرؤ أحد أن ينظر الى وجه الآخر.

قطعتِ الأمُّ هذا الصمتَ ووجّهتْ الى ابنها خليل تأنيباً وقالتْ لهُ: "لقد أغضبْتَ والدَكَ.. سيذهبُ وهو غاضبٌ منك". قالَ خليل: ولكنّي لم أفعل شيئاً خاطِئاً. إنني أريدُ أن أفخرَ بأبي كما يفخرُ هو بأصدقائه.

إرتدى الأبُ ملابسهُ العسكرية، وجهّزَ نفسَهُ للرحيل. نهضَ الجميع لوداع الأب وناولَتْهُ الأم حقيبَتَهُ وهي تقول: "عندكَ زوجٌ من الجواريب لم يجفا بعد، وضعتهما لكَ في كيسٍ من النايلون، لا ترتديهما قبل أن يجفّا.. ووضعتُ لكَ أيضاً طعاماً للعشاء." ثم آقتربت منهُ وهمست في أذنه: ابراهيم لا تغضبْ من ولدك. قال الأب: كلاّ كلاّ. والآن سأذهب.. لن أوصيكِ بالصغار فأنت أمٌ رائعة.. "وداعاً..



وصَلَ الأبُ الى مقر وحدته قبلَ مغيب الشمس .. وآتجهَ مباشرةً إلى مواضع سريته . كان رفاقه في تلك اللحظة يتجهون الى بهو الوحدة .. وقبل أن يصل الى موضعه آلتقى صديقهُ المقاتل سعد .. تصافحا بحرارة وقال المقاتل سعد : إجازة سعيدة عريف ابراهيم .. كيف الأهل والصغار ؟ ثم قال : اعذرني فالسيد الآمر يطلبُنا في البهو .

وضعَ العريف ابراهيم حقيبته، وأسرعَ للالتحاق برفاقه .. بعد قليلٍ حضر آمر السرية وهو ضابط شاب وجلس بينهم ..

قالَ الضابط الشاب آمر السرية :- عندنا الليلةَ واجب .. أنتم تعرفونَ أننا أقربُ مجموعةٍ للراقم الأسود، وتود القيادة أن تعرف نيّات العدو .. ولهذا سنقوم الليلة بدورية في الراقم الأسود والمنطقة المحيطة به .. ثم سأل : "أريدُ خمسةَ عشر مقاتلاً فقط ، مَنْ يأتي معي ؟ كانَ المقاتلُ العريف ابراهيم أولَ مَنْ رفعَ يدَه وقال : "أنا .." وتوالتِ الأصوات بعده .. أنا ، أنا ، أنا ، ولم يتخلّفْ أحدٌ عن إبداء استعداده للمشاركة .

قال آمر السرية : "شكراً". ثم أضاف :- "طبعاً لا تجوز مشاركةُ هذا العدد الكبير .. لقد قلتُ في البداية ، إن العدد المطلوب هو خمسة عشر مقاتلاً فقط، وتكريما للعريف ابراهيم الذي رفعَ يَدهُ قبلكم جميعاً، سيكونُ أوّلَ المشاركين أما الآخرون فبإمكانكم أن تتفقوا فيما بينكم". ثم أضاف : -والآن سأنتظركم في الخارج .



لم يكنْ ابراهيم يدرك أي شعور تملكه في تلك اللحظة . وقبل ان يتفرق رفاقه قال العريف ابراهيم لصديقه سعد : عندي في الحقيبة طعامٌ للعشاء . خُذوه

قالَ المقاتل سعد مازحاً : ماذا ؟ دجاجة مشوية ؟

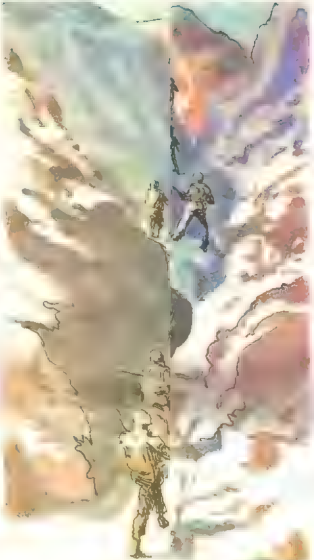
قال إبراهيم وهو يشعر بفرحٍ غامر : "والله لا أدري .. قالتْ أم خليل وضعتُ لكَ عشاءً .. لكنّها لم تقلْ أي شيء وضعتْ". وهنا ضحكَ الاثنان طويلاً .

عادَ المقاتلون إلى مواضعهم .. أما أفراد الدورية فقد أصطفّوا أمام الآمر بكاملِ أسلحتهم ..

* * *

اشتدَّ الظلام حتى لم يعد بالإمكان رؤية شيء .. لكن الرجال في جبهات القتال يعرفون كلَّ المسالك والطرق، وتعودوا على الرؤية في أشد الليالي ظلاماً .

أنطلقت مجموعة الدورية، يتقدمهم آمرهم الضابط الشاب .. كانوا فرحين وكانوا يرددون انشودةً جميلةً بصوت منخفض .. وكان الآمر يشاركهم بترديد الانشودة .. أما العريف ابراهيم فقد كان يرسل نظرةً بعيداً بأتجاه الصخرة السوداء، القابعة في أعلى الراقم .. لكنه لم يستطع ان يرى شيئاً في ذلك الظلام .. وأسترجعَ مع نفسه

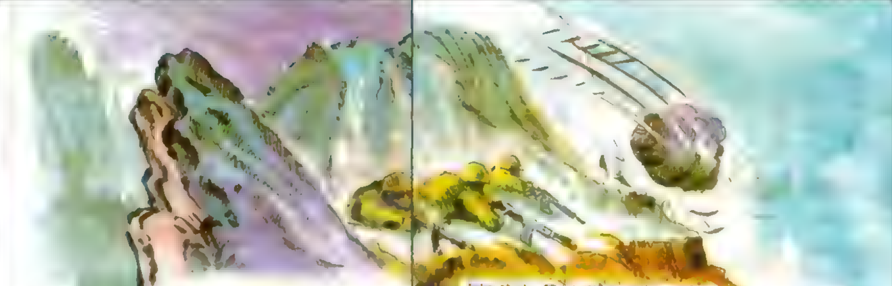


حكاياتِ رفاقه الذين صعدوا على قمة الراقم في الواجبات الماضية .

قال الآمر : "انتبهوا .. هذا حقلُ ألغام .. اتبعوني .. سأسير أمامكم لأدلّكمْ على الطريق .. اجروا واحداً واحداً . الطريق ضيّقة وأحذروا أن تتفرقوا .." العريف ابراهيم كان الوحيد الذي بقيَ يردد كلماتِ الانشودة . قالَ الضابطُ الشاب : -أقطعوا الكلام . لقد بدأنا نقترب .

كانَ الطريق الجبلي الذي سلكتْهُ المجموعةُ وعراً وملتوياً وطويلاً .. ومع ذلكَ صعد الرجالُ بكلِّ همةٍ وعزم . وفي أسفلِ القمة السوداء العالية ، قالَ الآمر :-"أربعة منكم يذهبون الى الجانب الأيمن وخمسة في الجانب الأيسر ، وأربعة يبقون هنا لحمايتنا .. لن يطلقَ أحدُكم النارَ إلا بأمر مني". ثم أضاف :- سيأتي معي ابراهيم والمُخابر

نفّذَ المقاتلونَ الأمرَ العسكري .. ثم بدأ الضابط الشاب آمر المجموعة بتسلّقِ القمةَ السوداء، يُرافقه المُخابر والعريف ابراهيم .. وحين استقر بأعلى القمة، أخذَ يتنصت لحركة الأعداء وأصواتهم . مرت أكثر من ساعة تجمعت لدى الضابط الشاب معلوماتٌ جيدة عن نوايا العدو .. لقد رأى تجمعاتهم وتحشداتهم من خلال قنابر التنوير التي أطلقها الجانبان، لكنه كان يطمح بجمع معلوماتٍ أكثر . في تلك اللحظة أقترب في جانب العدو أصواتُ محرّكاتِ ناقلاتٍ ودبابات .



الجو، شعر بحرارة تسري في أجزاء جسده كله.
زحف آمر المجموعة على بطنه، محاولاً الاقتراب أكثر ليتسنى له معرفة عدد ونوع العدو .. لكنّ شيئاً غير متوقع حدث .. فقد تحركت صخرة كبيرة من مكانها، واندفعت تتدحرج من أعلى قمة الراقم الأسود بأتجاه العدو. عندها فتح الأعداء نيران أسلحتهم، بأتجاه الراقم الأسود وأطلقوا قنابر التنوير حول القمة.

قال الضابط الشاب لأفراد المجموعة:
"انسحبوا قليلاً الى الخلف واختفوا جيداً". في تلك اللحظة اندفعت مجموعة صغيرة من أفراد العدو بأتجاه الراقم الأسود .. وحين أصبحوا بمرمى مناسب فتح الآمر والعريف ابراهيم نيران سلاحيهما، وقتلا عدة أفراد



توقفت المجموعة المعادية عن التقدم، [illegible] لارتباك صفوفهم.

قال الضابط الشاب للمخابر: افتح جهاز الاتصال وأرسل برقية بالآتي:
"العدو يحشد أعداداً هائلة من الأفراد والآليات والدروع". ثم طلب من المدفعية أن تضربهم بعد أن حدد أماكنهم بدقة.

لكن رشقات النيران ما تزال متواصلةً، حين صدرت آهة مكتومة في أعلى قمة الراقم. لقد أصابت إحدى الرصاصات المخابر في صدره.

أسرع الضابط الشاب للاطمئنان على المخابر وحلّ العريف ابراهيم مكان آمره. لكن سرعان ما استشهد المخابر. قال العريف ابراهيم: إنهم يتقدمون بسرعة



انضمَّ الأمر للعريف ابراهيم وصَنَعا سداً من النيران .. ومرةً اخرى يوقفان لوحدهما تقدمَ العدو . مرت لحظةٌ صغيرةٌ من الهدوء قال الضابط الشاب للعريف ابراهيم .. انتبه جيداً سأنادي على باقي المجموعة .. وحينَ حاولَ النهوض أرسلَ الأعداء رشقةً كثيفةً من النيران، فأصيبَ الضابط الشاب وسقط بين صخرتين .

هرعَ العريف ابراهيم نحوهُ .. لكنّ الضابط الشاب قال له : اتركني.جرحي بليغ لا أعتقد أنني سأعيش .. إذهبْ أنت .. أبْلِغ المجموعة وعودوا .

لكن العريف ابراهيم عادَ الى قمة الراقم، وآتخذ له موقعاً مناسباً وأخذ يطلق النيران على أفراد العدو، لكي يوقِفَهُم قليلاً حتى يتمكن من إخلاء رفيقه .. لكنّ مجموعةً كبيرةً من أفراد العدو،تمكنت من الوصول إلى مقربةٍ من قمة الراقم .. تساءَلَ العريف ابراهيم :ـ ما العمل ؟ ماذا عليَّ أن أفعل ؟

أسرع نحو آمره يستشيره .. لكنّ الضابط الشاب نزفَ كثيراً وخفَّ نبضه وسكنت حركته . أما الأعداء فكانوا يزدادون ويتقدمون .. تساءَل ابراهيم مرةً أخرى ماذا أفعل ؟ سوف يأسروننا أو يقتلوننا هذه عاداتهم .. ولكن هيهات ولمعت في ذهنه فكرة !لقد أتخذ قراراً خطيراً .. هرع نحو رفيقه.المخابر الشهيد وأمسك بجهاز الاتصال



ونادى :- هلو .. هلو .. كيف تسمعني أجب ؟ وجاءه من الطرف الآخر اسمعك جيداً أجب . قال ابراهيم وهو يرى الأعداء قد أحاطوا به : - هلو .. اقصفوا قمة الراقم .. أكرر أقصفوا الراقم الأسود فالأعداء يتواجدون عليه الآن بأعداد كثيرة . انتهى". بعد لحظة رد صوت في جهاز الاتصال : "هلو من المقر الى العريف ابراهيم : ألستم فوق الراقم ؟ أجب ..". لكن ابراهيم لم يجب، فقد آتخذ قراره ولم يتراجع. لم تمض سوى دقيقتين، عندما زمجرت المدافع تخترق سكونَ عشرات الكيلو مترات في تلك المنطقة الجبلية، وتناثرت جثث الأعداء .. ولم يعد ابراهيم يشعر بشيء .

في صباح أحد الأيام، فتح العريف ابراهيم عينيه بصعوبة وتساءل مع نفسه :- "ما زلتُ حياً". ثم أضاف :- "تُرى هل أنا أسيرٌ عندهم ؟"

وبصعوبة الخوف من المفاجأة، نظرَ يساراً ويميناً وبدت على وجهه آبتسامة مشرقة. لقد كانَ أول شيء يطالعه وجه ولده الحبيب .. وأراد أن يفتح فمه ليحدثه عما فعله أبوه .. لكن خليل الصغير أسرع نحو والده البطل وهمس : أرجوك يا أبي لا تتحدث إنني أرى في عينيك بريقاً خاصاً يروي حكايات .. ثم ان آمر مجموعتكم حدثني عنك كثيراً قبْل أن يغادر المستشفى .



ابن الجندى

• محمد عبد الحميد •

القصة الفائزة بالجائزة الثالثة



حين نهضَ عادل سلمان ، كان طَعمُ النوم في فَمِهِ لذيذاً ، ودَّ أن يستلقي ثانية ووهج نهارات العطلة ، كان يقلق في ذاكرة مليئة بصورة المرح والشقاوة والنزهات الصباحية ، برفقة الأولاد في طرق البساتين المتربة،والمؤدية الى النهر الذي يستدير شرقاً ، خارج البلدة .

إستيقظ وتثاءب ببطء،ولكن جدّهُ حثّهُ على النهوض بسرعة لأن هذا اليوم ، ليس ككل الأيام ، تناوَل فطورَهُ المكون من البيض والحليب والخبز الحار .

كانت والدتُهُ تعملُ بنشاط ، والنهار يتدفق في الخارج .حاولَ أن يتصور شكل أول يوم لعطلته الصيفية ، لم تعد ثمة دروس ، أو مشاغل مدرسية ، ربما سيلعب مع فاطمة بنت خاله ، سيضربها أو يعبث بدميتها العجوز . تبسم عادل في سره ، حين تصور وجه فاطمة المذعور .

قال جده :-سنذهبُ معاً الى الزرع .

لم يقل له أي شيء ، لم يتمرد أو يغضب . حاولَ أن يفهم سر هذا التبدل في أمر جدّه الصارم .



في الطريق، قالَ جدهُ بأنه ينبغي أن يترك اللعب بعد أن صارَ رجلاً، ولم تعد ثمة عطل فارغة.

وقال له، والدك في الحرب يقاتل، وأنت هنا ينبغي أن تقاتل الزمن وساعات الفراغ. كان الطريق متعرجاً، ومحاطاً بجدران طينية لبساتين الفاكهة، والشمس تنفذ من خلال سعف النخيل، أشبه بنافورات مائية.

ذلك المذاق الحامض والحلو واللون الرماني، والأشواك السوداء الدقيقة المنبثقة من حبيبات مليئة بالسائل الطيب.

سعلَ جدُّهُ العجوز بقوة، وهو يتأمل الأفق البعيد المزهو بشريط أخضر داكن، حيث تمتد أشجار النخيل في فضاءٍ شاسع وردّدَ جده: إن الجَمال نعمةُ الخالق، وإنَّ الحياة أكبرُ امتحان للإنسان.



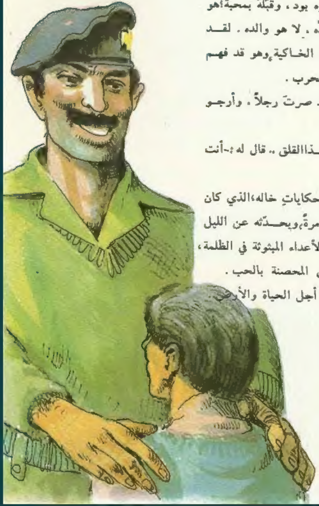
أول يوم من العطلة، يبدو عجيباً، حيث كان ينطلق بصحبة الأولاد كطيرٍ أُطلقَ بعدَ حبسٍ دامَ شهوراً طويلة، يسبح، ويلهو، ويأكل التوت، يركب البغلة ويخطط لمكائد حقيرة، وربما يصطاد سمكة بنية أو.. وفجأةً التمعت في مخيلته أصابع رجلٍ أليفةٍ تمسد شعره بود، وقبّلهُ بمحبة!هو والده ليس غير. ربما جدهُ. لا هو والده. لقد كان في المساء مزهواً ببدلته الخاكية، وهو قد فهم بأن والده سيذهب إلى الحرب.

قالَ لهُ قبل يومين: لقد صرتَ رجلاً. وأرجو أن ترعى جدّك وأمك.

لم يفهم أي معنى لهذا القلق.. قال له:- أنت رجل البيت الآن.

لقد عرفَ الحرب من حكاياتِ خاله، الذي كان يأتي اليهم في كل شهر مرةً، ويحدّثه عن الليل والبرد والأمطار وعيون الأعداء المبثوثة في الظلمة، وعن الصمود في الخنادق المحصنة بالحب.

قالَ لهُ:- إننا نقاتل من أجل الحياة والأرض.



مدَّ عادل قامَتَهُ بثقة حين وصل إلى قطعةِ الأرض المخصصة لهم.

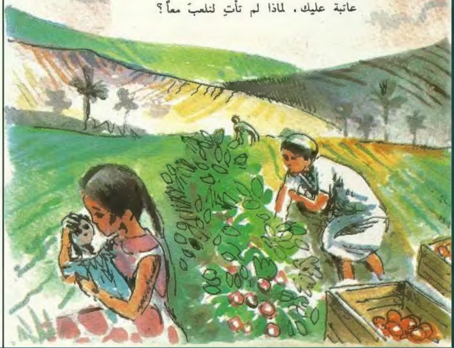
كانت الخضرةُ تحتَ وهج الشمس تمطي التماعاتٍ أخاذة.

قال جده: إذهب وأجمع الطماطة الناضجة.

حملَ عادل بعضَ السلال وأندفع بين السواقي اللينة، وأوراق الباميا الخشنة تداعب وجهه، ورائحة الأُرض تملأ صدره.

أخذ عادل يقطف الثمار الناضجة، وفي عقله تدور صور الأطفال الذين يلعبون في النهر، وفي الطرقات.

جاءت فاطمة بوجه مشرق وقالت له: إني عاتبة عليك. لماذا لم تأتِ لنلعبَ معاً؟





قالَ عادل: لن أستطيع أن أفعل ذلك.

وقالَ إن والده ذهبَ إلى الحرب، ولن يلعبَ بعد الآن. لأنه ينبغي عليه أن يقوم بعمل والده.

وجاءت والدته تحمل طعاماً لهما، وخبزاً ساخناً، وجلسوا تحت سقف عريشة مستطيلة كان والده قد صنعها من جريد النخيل والطين، وشعر عادل بلذة الطعام رغم التعب. وبعد الأكل أستراحَ عادل برهةً من الزمن ثم نهض مواصلاً العمل ولمحَ وجه والدته بين الخضرة المتألقة وهي تعمل بخفة.

وشعر عادل بالتعب بعد ظهيرةٍ ساخنة. كانَ العرقُ يتصبَّبُ من جسده، وكان جدُّهُ بقامته المنحنية، منشغلاً في تسوية الأُرض، والأعتناء بالشتلاتِ الصغيرة النابتة تواً.



وبعد ساعة جاء أحمد سالم صديقه، وقال له إن الأولاد بانتظاره قرب النهر وقال: إنهم قرروا أن يصطادوا سمكةً. أعتذر عادل بلطفٍ، وقال له أحمد: هل تخاف من العجوز؟

قالَ عادل: لقد ذهبَ والدي إلى الجبهة إلا أنَّ بإمكانه أن يساعدنا.

صمت أحمد برهة. والده هو أيضاً ذهب الى الجبهة منذ سنة وإنَّ أخاه محمود يعمل كل شيء.